مدار الوطن
٤٧٦

الحرم

حرمته و خصائصه

إعداد
علي بن عبد العزيز الشبل
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض - ص.ب ٣٣١٠ - هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٢٣٩٤١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وعلى آله وأصحابه الميامين، وبعد:

فالحرم سُمي بهذا الاسم الذي هو مصدر من ناحية الاشتقاق؛ لأن الله تعالى حرَّمه، وجعله حراماً في زمان ومكان، منذ خلق الخلق والأرض، وقد نصَّت أدلة الكتاب والسُّنَّة على ذلك، كما أن النبي ﷺ أكَّد هذه الحرمة وشدَّد عليها، ولاسيما عام فتح مكة، لمَّا قال: «إن هذا البلد حرام، وإنه أُحِلَّ لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمته إليه» متفق عليه.

❊ معنى الإلحاد في الحرم:

ولقد عظَّم الله شأن المسجد الحرام، وأغلظ عقوبة الإلحاد في الحرم في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، والإلحاد هو الميل عن الحق، وعن العدل، وعن الصراط المستقيم بذنب، أو كبيرة، أو شرك وكفر بالله عز وجل، فكل هذه المعاصي بأنواعها الثلاثة يشمله معنى الإلحاد، وهو متفاوت المراتب بحسب نوع الذنب والفسق.

❊ عقوبة الإلحاد في الحرم:

فالحرم حرم الله، مضاف إلى الله تشريفاً، أما عقوبة الإلحاد في الحرم فمنصوص عليها بالآية من سورة الحج، وهو عذاب أليم، ولهذا لما تغشَّم أبرهةُ الحبشي وجيشُه انتهاكَ حرمة الحرم ـ ولو كان في الجاهلية ـ عاقبه ربنا جلَّ وعلا بالعذاب المذكور في سورة الفيل ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [سورة الفيل].

ولقد نوَّه العلماء بأن مجرد إرادة الإلحاد والأذىٰ والمعصية في الحرم، مجرد عزم القلب على فعلها توجِب هذا العذاب الأليم المتوعَّد عليه، وهذا يوجب على المؤمن الناصح لنفسه الحذر العظيم من ذلك، فسُنَّة الله جرت على تعجيل العقوبة لهؤلاء الملحدين المجرمين في حرم الله.

فقد روىٰ أحمد والبزار والطبراني وابن جرير والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه على قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: لو أن رجلاً همَّ فيه بسيئة وهو بعدن أبين ـ باليمن ـ لأذاقه الله العذاب الأليم.

❊ صور الإلحاد في الحرم:

وصور الإلحاد في الحرم متنوعة ومتعددة، وهي تدور على ثلاثة أنواع:

١ ـ **المعاصي والذنوب**، كشرب الدخان في الحرم وفي غيره، وكالسفور والتبرج، وكالتضييق

على المسلمين في الحرم في صلاتهم أو عبادتهم أو أحوالهم مرةً أو من غير استمرار عليها، مع الأخذ بالاعتبار أن الإصرار على الصغيرة يصيِّرها كبيرة من كبائر الذنوب.

وقد كان السلف يعظِّمون الحرم جدًّا، فقد روى عبدالرزاق وغيره عن الشعبي أنه قال: لأن أقيم بحمام أعين ـ موضع بالكوفة ـ أحب إليَّ من أن أقيم بمكة ـ خوفاً من ذنوب الحرم. وكذا روى عن قيس بن أبي حازم.

٢ ـ **كبائر الذنوب**، كالاعتداء على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وعقولهم، وكذلك أكل الربا والزنا، وشرب المسكر والمخدر، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات المؤمنات، وكالسرقات الموجبة للحدود في الدنيا، أو الوعيد بالنار كإسبال الثياب، أو اللعنة كالتشبه والرشوة، أو الغضب كقتل النفس المؤمنة، أو نفي الإيمان، كأذية الجار، أو البراءة من صاحبه كالغش وحمل السلاح علينا.

٣ ـ **الكفر والشرك بالله والنفاق الأكبر**.

فهذه الثلاثة أعظم ما يكون من الإلحاد في الحرم الذي عظَّمه الله، ويُعظم فيه الله بالتوحيد والعبادة، فمن أشرك بالله أو نافق في الحرم أو ترك الصلاة أو سب الله أو الدين أو الرسول فقد أتى صورة من أعظم صور الإلحاد في الحرم.

❊ **الإجرام والتخريب في الحرم:**

ومن صور الإلحاد في الحرم ـ محل التنويه ـ السعي بالفساد والإفساد بالحرم، وذلك بالأعمال الإجرامية أو التخريبية أو إشاعة الخوف وسفك الدماء بين المسلمين عدواناً وظلماً. وهذه الأمور معظَّم حرمتها في غير الحرم، لكنها تعظم وتشدد الحرمة في حرم الله عز وجل، وقد رتب سبحانه الوعيد على الحرابة في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، وهو في الحرم أشد وأنكى في الجرم والخطر والعاقبة، كيف ويروىٰ عن النبي ﷺ: «مَن أعان على قتل مسلم بشطر كلمة؛ قدم يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله». رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

❊ **التساهل والتهاون في تعظيم الحرمات في الحرم:**

ومن صور الإلحاد في الحرم ما يحصل من التساهل بالمحرمات أو الفرائض والواجبات في الحرم وفي غيره. فمن الناس من يطلق للسانه العنان، فيكون مهذاراً بما لا يعنيه باستهزاء بالدين أو بغيره من الخلق أو بغيبة أو نميمة أو كلام فاحش أو سب وشتم، حتى وهو بجوار بيت الله.

ومنهم مَن يطلق العنان لبصره في النظر إلى حرام، أو أذية بنات المسلمين بنظره، والنظر من سهام إبليس، أو يطلق لسمعه العنان، فيسمع ما يغضب الله عز وجل وما لا يحبه من عبده، والنبي ﷺ يقول: «**العين تزني وزناها النظر، والأذن تزني وزناها السمع، واللسان يزني وزناه الكلام، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه**» متفق عليه.

وهمسة إلى الآباء والأمهات وأولياء الأمور الذين يذهبون عمَّاراً إلى البيت الحرام أن يحفظوا أولادهم وبناتهم عن الحرام أو أذية المسلمين، وأن لا ينشغلوا بالعبادة وإهمال عوائلهم بالأسواق وساحات المسجد الحرام وداخله، فيُؤزروا ولا يُؤجروا، ويُغرموا ولا يفوزوا وتلحقهم دعوة الناس!

وفَّق الله الجميع لِمَا يحبه ويرضاه. والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن سار على نهجهم.